

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة -
قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: مفاهيم ومصطلحات أنثروبولوجية
المستوى: السنة أولى ماستر أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية
الأستاذة: قوراري منيرة
السنة الدراسية: 2024-2025
المحاضرة-04: مصطلحات الممارسات الأنثروبولوجية المنهجية:
التطورية_ الانتشارية_ الوظيفية_ البنيوية

تمهيد:

بولوج أوروبا الحديثة عصر التنوير، بدأت الأنثروبولوجيا تتشكل كعلم قائم بذاته، وهنا برزت العديد من الاتجاهات والتقاليد النظرية، تناول من خلالها دارسوا الأنثروبولوجيا العديد من الموضوعات والقضايا والإشكالات، ويمكن القول أن هذه الاتجاهات تشكلت على نحو ما لتصبح مدارس متعددة لحقل علمي واحد، كما تأسست وفق تقسيم جغرافي لبدايات الأنثروبولوجيا الأمريكية أين البريطانية إلى الفرنسية وصولا إلى الأنثروبولوجيا الأمريكية كما هو معروف في أواسط القرن العشرين الذي تميّز بتغيرات سياسية وجغرافية غير مسبقة وبروز الولايات المتحدة كقوة عسكرية واقتصادية متعظمة: وهو ما أعطى دفعا قويا للفكر الأنثروبولوجي الحديث، وأصبح هذا الفكر بحد ذاته متأثرا بجملة التغيرات تلك. ويمكن تمييز الاتجاهات الأساسية لهذا العلم من خلال أربعة مدارس متميزة ساعدت في تطوير هذا العلم، نرصدها كما يلي:

1- الاتجاه التطوري:

برزت هذه النظرية كأولى النظريات الأنثروبولوجية، حيث جاءت في سياق الحركة الفكرية التي تجذرت خلال القرن الثامن عشر، وانقسمت إلى التطورية الكلاسيكية

والتطورية الحديثة، وتعد من أقدم النظريات التي استخدمت لتفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية وتنبني هذه النظرية على أساس علمي وهو أن الإنسان انتقل من المرحلة الحيوانية إلى المرحلة البدائية بشكل تدريجي، وكان العامل المهم في هذا الانتقال هو الإدراك والسلوك وأن الإنسان ذكي منذ نشأته.

تأثر أصحاب هذه النظرية بأفكار التطور البيولوجي لصاحبها تشارلز داروين، وكذا حول مسألة تطور البشرية باتجاه التقدم الدائم، ومن البساطة إلى المعقد إلى الأكثر تعقيداً، حيث كان لها بالغ الأثر في ظهور هذا الاتجاه التطوري، والحقيقة أن فكرة التطور بحد ذاتها هي فكرة قديمة نجدها في النظريات الفلسفية، فأرسطو مثلاً رأى أن الطبيعة هي صيرورة تخضع لمبدأ النشوء والارتقاء وكذا الفناء.

وعلى وقع هذا التأثير العلمي القديم والمستجد، استلهم رواد النظرية التطورية أساسهم العلمي، واستعاروا المفاهيم التي افترضها الاتجاه التطوري داخل حقل البيولوجيا لداروين ولامارك ليأخذوها إلى حقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

تاريخياً ظهر هذا الاتجاه التطوري في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن قام لويس هنري مورغان بتأسيس أول كرسي للأنثروبولوجيا في ولاية نيويورك، ثم جاء إدوارد تايلور وجيمس فريزر وهؤلاء الثلاثة هم رواد هذه المدرسة التطورية.

يعتقد هؤلاء الدارسين أن الثقافة هي نتيجة لتراكم النشاط الإنساني عبر الزمن، وأن التقدم هو الغاية الأساسية من التطور الإنساني، وأن المجتمعات الإنسانية كلها تتغير وفق قانون ثابت للتطور يقوم على التقدم من مرحلة دنيا إلى أخرى أرقى منها حتى تصل في النهاية إلى قمة الحضارة الإنسانية كما كانت ممثلة آنذاك في المجتمع الأوروبي، فالتطور هو القانون الذي يحكم الإنسان والمجتمعات البشرية.⁽¹⁾

(1)- فردريك بارت وآخرون: الأنثروبولوجيا - حقل علمي واحد وأربع مدارس، ترجمة أحمد أبو بكر باقر، ط1، المركز الثقافي العربي للأبحاث، 2017، ص 75.

ويأخذ التطور حسب هذا الاتجاه مسيرة خطية واحد للمجتمعات عبر الزمن، وبأن كل مجتمع لابد له من الانتقال من مرحلة إلى أخرى، فأحياناً يكون هذا التطور بطيئاً ومتدرجاً وأحياناً يكون بوتيرة متسارعة أو متباينة، وقد سعى التطوريون إلى الإحاطة بجميع الثقافات ومقارنتها فيما بينها، واضعين نصب أعينهم المجتمع الغربي الذي اعتبروه في قمة التطور، لأنه يشتمل على أرفع الأشكال التي بلغت مختلف المؤسسات من سياسية، عائلية ودينية.⁽²⁾

وحسب لويس مورغان فإن الإنسان مرّ بعدة مراحل ضمن حقب زمنية مختلفة حدّدها وفق ما يلي:

- **مرحلة التوحش الدنيا:** يعتبرها مورغان مرحلة الطفولة البشرية حيث عاش الإنسان أشبه ما يكون فيها بالحيوان، هائماً على وجهه، جامعاً وملتقطاً لجذور النباتات وبعض الثمار البرية.
- **مرحلة التوحش الوسطى:** تقدم فيها الإنسان قليلاً عما كان عليه في المرحلة السابقة باهتدائه إلى اكتشاف النار، واستخدامها في طهو الطعام وإضاءة الكهوف.
- **مرحلة التوحش العليا:** اكتشف فيها الإنسان القوس والسهم مما ساعده على تغيير غذائه ونمط عيشه بشكل عام، ويفترض مورغان ارتباط هذا التقدم في الاقتصاد بقدّم مماثل في شكل التنظيم الاجتماعي والديني.
- **مرحلة البربرية الدنيا:** تميزت بوصول الإنسان إلى إبداعات جديدة أهمها صناعة الفخار، وخروج الإنسان عن عزلته الضيقة وانتشاره في مناطق أكثر اتساعاً، وبداية نشوء جماعات اجتماعية.
- **مرحلة البربرية الوسطى:** تمكن فيها الإنسان من صهر المعادن وصناعة الأدوات والآلات المعدنية، وكانت بداية اكتشاف الكتابة الصورية.

(2)- المرجع نفسه، ص 110.

ويرى مورغان انه وبعد اجتياز هذه المراحل توصل الإنسان إلى مرحلة المدينة التي تتميز باختراع الحروف الهجائية والكتابة، وهي المرحلة التي لا تزال ممتدة إلى الوقت الراهن. وقد ساد على رواد هذا الاتجاه الأولي الطابع النظري المحض الذي لم يرافقه أي دراسة أو بحث ميداني ضمن البحث الأنثروبولوجي العام.⁽³⁾

كما يعد إدوارد تايلور (1832-1917) واحدا من رواد هذا الاتجاه، حيث اعتبر أن الثقافة عنصر مساعد لفهم التاريخ الإنساني طالما أنها ظاهرة تاريخية تميز الإنسان دون غيره، ويكتسبها من المحيط الذي يعيش فيه، وبهذا المعنى تكون الثقافة هي حصيلة ما يكتسبه الفرد داخل المجتمع، ويرى تايلور أن دراسة الثقافة هو دراسة تاريخ تطور الفرد في المجتمع باعتبارها العملية التاريخية إلى حالتها المعقدة إلى الحالة الأكثر تعقيدا.

تطورت على يد تايلور فرضية مفادها وجود "وحدة نفسية" البشر جميعهم، وبناءا على ذلك ومن خلال هذه الوحدة النفسية فقد تمكن البشر البدائيين والمعاصرين من أن يطوروا المعتقدات والرؤى التي يتبنونها، وأن تقاليد الشعوب وعاداتها يمكن أن نلاحظها على أنها نتاج الأسباب نفسها التي جعلتنا على ما نحن عليه، كما يرى قدرة هذا التفكير البشري العام كمحرك بإمكانه أن يولد التغير التدريجي والتقدم العام الذي تعرفه البشرية اليوم وعلى هذا الأساس الفلسفي، انتقل تايلور إلى تحديد الهدف الأنثروبولوجي وهو "الثقافة" واعتبر الثقافة أو الحضارة في أوسع معنى أثنوغرافي هي "ذلك المركب الكلي الذي يشمل المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والعادات، وأي قدرات أخرى أو هويات يكتسبها الإنسان بوصفه في المجتمع".⁽⁴⁾

كما يعد جيمس فريزر من رواد هذا الاتجاه، والذي ألف كتابه الشهير "الغصن الذهبي" وهو عبارة عن دراسة في السحر والدين سنة 1890، وضّح فيه أن كثير من الأساطير

(3)- إبراهيم محمد عياش: التطور من المنظور الأنثروبولوجي، موقع aranthropos.com، تاريخ الاطلاع 18 نوفمبر 2018.

(4)- فريدريك بارث وآخرون: الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 20-21.

الدينية والشعائر أصلها منذ أيام ظهور الزراعة في عصر ما قبل التاريخ وان تطوّر العقل البشري مرّ بثلاث مراحل هي: السحر البدائي، الدين، والعلم.

يقول روبرت تميل في مقدمته لترجمة الكتاب الشهير: "لقد ترك فريزر أعمق الأثر في ثقافة العالم، فاكتشافه فيها يخص تطور المعتقدات يدخل في تيارات التغيرات الاجتماعية التي التفت حول نظرية داروين، ونظرية عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية تايلور، أو غيرهما من أصدقائه المفكرين المحدثين، كانت نظرية فريزر إلى تاريخ المعتقدات البشرية تطورية ونفسية بالدرجة الأساس، فهو يتحدث عن الإنسان في انتقاله من إيمانه بالسحر وسيلة للسيطرة على بيئته، إلى الإيمان الديني الذي يسعى إلى استرضاء الآلهة والأرواح، أمّا المرحلة الثالثة المنطقية في هذه العملية كما يراها فريزر فهي الفكر العلمي، فقد بيّن كتابه للمرّة الأولى أن أهمية المسائل المتعلقة بالمعتقدات البشرية لا تنبع من محتوياتها، بل من مدلولاتها النفسية.(5)

ويؤكد جيمس فريزر في كتابه أن المفتاح الذهبي -ويقصد به العلم تحديدا- يفتح كثيرا من الأقفال في خزانة الطبيعة، وأنّ الأمل في تحقيق التقدم في الأمور الأخلاقية والفكرية والمادية في المستقبل مرهون بحظوظ العلم، وأن كل عقبة تعترض سبيل الاكتشافات العلمية هي إثم يرتكب في حق الإنسانية.(6)

وعلى الرغم من أهمية الاتجاه، إلا أنه لاقى الكثير من الانتقادات باعتبار أن نظريته استندت إلى الحدس والتخمين، وتعميم الأحكام المطلقة على الثقافات الإنسانية من دون أن تثبت صحة ذلك بالبراهين والقرائن العلمية والواقعية.

2- الاتجاه الانتشاري :

(5)- جيمس جورج فريزر: الغصن الذهبي، ترجمة: محمد زياد كبة، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص08.
(6)- المرجع نفسه، ص 215.

مع بداية القرن العشرين ظهرت اتجاهات نظرية جديدة في دراسة الأنثروبولوجيا، بعد أن اضمحلت تدريجيا النظرية التطورية، لتحل محلها أفكار نظرية جديدة لدراسة الثقافات الإنسانية، من حيث نشوؤها، مكوناتها وتطورها، وهنا ظهر الاتجاه التاريخي، والذي قسم بدوره إلى اتجاهين فرعيين هما: الاتجاه التاريخي -التجزئي، والاتجاه التاريخي -النفسي.

أ- الاتجاه التاريخي -التجزئي:

برز هذا الاتجاه في محاولة لتفسير التغير الحضاري لتاريخ الإنسان، سواء كان الفكر تطوريا أو انتشاريا، فقد استمر الاهتمام باستخدام التاريخ لتفسير ظاهرة التباين الثقافي والحضاري للمجتمعات الإنسانية، وافترض المناهضون للفكر التطوري أن الاتصال بين الشعوب المختلفة قد نتج عنه احتكاك ثقافي، وعملية انتشار لبعض أو كل السمات الحضارية، الأمر الذي يمكن أن يفسر في ضوءه التباين الحضاري للشعوب، وليس في إطار عملية تطورية.

وقد تبنى هذا الاتجاه منهجا تاريخيا وجغرافيا بتأثير كبير من المدرسة الجغرافية الألمانية، وكان رائدها فريدريك راتزل الذي ركّز على أهمية الاتصالات والعلاقات الحضارية بين الشعوب، ودورها في النمو الحضاري، وانطلاقا من هذا المنظور، افترض البعض أن عملية الانتشار هذه ربما تكون قد بدأت من مركز حضاري محدد، ثم انتقلت عبر الزمان إلى أجزاء العالم المختلفة من خلال الاتصال بين الشعوب، وقد ظهرت في أوروبا نظريتان مختلفتان بصدد هذا التفسير الانتشاري لعناصر الثقافة، ففي إنجلترا المدرسة الانتشارية التي أرجعت نشأة الحضارة الإنسانية كلها إلى مصدر أو مركز واحد وعن طريق الاحتكاك الثقافي بين الشعوب، سواء عن طريق التجارة أو الغزوات أو الهجرات، انتشرت عناصر تلك الحضارة المركزية أو الرئيسية، واتسعت دائرة وجودها وضربوا مثلا بالحضارة الفرعونية القديمة التي نشأت وازدهرت على ضفاف نهر النيل في مصر

القديمة منذ حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، وعندما توافرت الظروف وبدأت الاتصالات بين الجماعات والشعوب، انتقلت بعض مظاهر تلك الحضارة المصرية القديمة إلى بقية العالم التي عجزت شعوبها عن الابتكار أو الاختراع فعوضت ذلك بالاستعارة والتقليد.⁽⁷⁾

إلا أن فريقاً من الألمان والنمساويين، وعلى رأسهم جرابينور شميدت رفضوا فكرة المنشأ الواحد للحضارة الإنسانية التي هي أقرب إلى الخيال أكثر من كونها أساساً، وافترضوا وجود عدة مراكز حضارية أساسية في جهات متفرقة من العالم، وأنه نتج عن التقاء الحضارات مع بعضها البعض نوعاً من الدوائر الثقافية، وحدثت بعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة، الأمر الذي يفسر أوجه الاختلاف عن تلك الثقافات المركزية أو الأساسية، ورغم الاختلاف بين المدرستين البريطانية والألمانية-النمساوية إلا أنهما اتفقتا في رفض حتمية تطور المجتمعات كلها وفق قانون ثابت ووحيد، ولكنها تستطيع بسهولة أن تستعير من غيرها ما تعجز عن ابتكاره بنفسها، أما في أمريكا فقد جاء فرانس بواز الرائد الأول لهذا الاتجاه التاريخي-التجزيئي، حيث عارض الفكرة القائلة بوجود طبيعة واحدة وثابتة للتطور الثقافي، ورأى أن أية ثقافة من الثقافات ما هي إلا حصيلة نمو تاريخي معين، ولذلك فإن على الباحث الأثنولوجي أن يدرس الثقافات بتوجيه اهتمامه نحو دراسة تاريخ الجزئيات المختلفة والعناصر المكونة لثقافة ما على حدى، وذلك قبل الوصول إلى تعميمات بشأن المجتمع الإنساني وثقافته ككل، وأصر فرانس بواز على أنه لكي تصبح الأنتروبولوجيا علماً قائماً، فلا بد أن تعتمد في تكوين نظرياتها على الحقائق الملموسة والمشاهدات، لا على التخمينات أو الفروض الحدسية.⁽⁸⁾

(7) حسين فهميم: فصول في تاريخ علم الإنسان: قصة الأنتروبولوجيا مطابع الرسالة، الكويت 1986. ص 124-125.

(8) حسين فهميم، المرجع السابق، ص: 126.

لقد نتج عن هذا الاتجاه التاريخي أو الانتشاري كما يسميه البعض من الدارسين، أن بدأ الأنثروبولوجيون ينظرون إلى الثقافات الإنسانية باعتبار أن لها كيانات مستقلة من حيث المنشأ والتطور والملامح الرئيسية التي تميّزها عن غيرها، وذلك على عكس التطوريين الذين رأوا أن الثقافات متشابهة، وأن الاختلاف الوحيد بينها يكمن فقط في درجة تطورها التكنولوجي والاقتصادي، وبهذا يرجع الفضل إلى المدرسة الانتشارية في طرح فكرة تعدد وتنوّع الثقافات، والنسبية الثقافية التي أصبحت منذ ذلك الحين من أهم المقومات الرئيسية في الفكر الأنثروبولوجي وتطوره.

ب- الاتجاه التاريخي-النفسي:

ظهر هذا الاتجاه، وتطوّر منهجيا وعلميا ضمن المدرسة الأنثروبولوجية الأمريكية على أيدي تلاميذ فرانس بواز، الذين رأوا عدم كفاية الطرح التاريخي النفسي أو التجزيئي في فهم وإدراك الظواهر الثقافية وعناصرها، إذ تظهر هناك زاوية أهم وأكثر فاعلية وهي المحمولات السيكلولوجية للثقافة، وتعد السبب الجوهرى الذي يتحكم في انتشار الثقافة الذي قال به فرانس بواز.

وتعد الأمريكية روث بنيد كيت (1887-1948) أشهر من قدّم لهذه الإضافة والتي تفسر انتشار الثقافات وفق المقتضيات النفسية للمجموعات البشرية، مستعينة في ذلك بنظريات التحليل النفسي لصاحبها سيقموند فرويد، فجاء مؤلفها الشهير "أنماط ثقافية" الذي أصدرته عام 1932 من أهم الدراسات في هذا الاتجاه.

كما ينتسب إلى هذا الاتجاه الأنثروبولوجي الأمريكي كلايد كلا كهون، ومارغريت ميد وكذلك عالم النفس الأنثروبولوجي كاردينر، الذي اشترك مع زميله رالف لينتون في صياغة ما اصطلح عليه بالشخصية الأساسية" للدلالة على مجموع الخصائص السيكلولوجية المميزة لثقافة ما.

ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه أن دراسة التاريخ بوقائعه وأحداثه، وخاصة ما تعلق منه بالمجتمعات الإنسانية، لا تكفي لتفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية، وذلك لأن الظاهرة الثقافية بحدّ ذاتها مسألة معقدة، ومتشابكة العناصر، فهي تجمع بين التجربة الواقعية المكتسبة، والتجربة السيكلوجية النفسية، وإنّ أية سمة من السمات الثقافية تضم مزيجاً من النشاط الثقافي والنفسي بالنسبة لبيئة معينة.⁽⁹⁾

وعلى الرغم من ذلك فإن أية ثقافة لا تولّد نظاماً مغلقاً أو قوالب جامدة يجب أن تتطابق معها سلوكيات أعضاء المجتمع جميعهم، حيث أن الثقافة بهذه الصفة لا تستطيع أن تفعل شيئاً، لأنها ليس سوى مجموع سلوكيات الأشخاص الذين يؤلفون مجتمعاً خاصاً، وأنماط هؤلاء الأشخاص يلتزمون عن طريق التعلّم والاعتیاد بأنماط الجماعة التي ولدوا فيها ونشأوا، فإنهم يختلفون في ردود أفعالهم تجاه المواقف الحياتية التي يتعرضون لها معاً، كما يختلفون في مدى رغبة كل واحد منهم في التغيير، إذ أن الثقافات جميعها عرضة للتغيير، وهذا يدل على مرونة الثقافة، وإتاحتها فرصة الاختيار لأفرادها، إذ أن القيم التي يتمسك بها مجتمع ما وتميزه عن المجتمعات الأخرى، ليست كلها ثابتة بالمطلق وإنما ثمة قيم متغيرة، تتغير بحسب التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يمرّ بها المجتمع.

ويؤكد هذا الاتجاه على الأساس السيكلوجي للقوانين الاجتماعية القائمة، مثل: أنماط السلوك الثابتة، والأعراف والتقاليد والعادات والقيم، وهو تكوين لأطر مشتركة ناتجة عن احتكاك الأفراد بعضهم ببعض، وإذا ما تكونت هذه الأطر الاستنادية وتغلّغت في أعماق الفرد، أصبحت عاملاً هاماً في تحديد ردود فعله أو تعديلها، في الأوضاع التي سيواجهها فيها بعد، سواء كانت اجتماعية أو غير اجتماعية، ولاسيما في الحالات التي لا يكون فيها الحافز جيد التنظيم، أي في حالة تجربة ليس لها سوابق في السلوك الذي اعتاد عليه الفرد.⁽¹⁰⁾

(9)- عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان (الأنثروبولوجيا)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004 ، ص75.

(10)- عيسى الشماس، مرجع سابق، ص60.

وقد مثلت هذه الاتجاهات بأفكارها وتطبيقاتها، مرحلة انتقالية بين الأنثروبولوجيا الكلاسيكية التي كانت تعتمد على التخمينات والتفسيرات النظرية فحسب، وبين الأنثروبولوجيا الحديثة التي بدأت مع النصف الثاني من القرن العشرين، معتمدة على الدراسات الميدانية التحليلية، والتي تعني بالجوانب الاجتماعية الثقافية المكونة للفكر الأنثروبولوجي الحديث.

3- الاتجاه البنائي-الوظيفي:

يقصد بالاتجاه البنائي-الوظيفي، هو مجمل الدراسات والبحوث التي يتمحور اهتمامها في شكل أو بناء أي وحدة، أو يكون محور اهتمامها هو الوظائف التي تؤديها الوحدة في إطار البناء العام للوحدات أو البناء الكلي، وتركز البنائية الوظيفية على الوظائف والأدوار التي تقوم بها الوحدات المكونة للكل، فإذا أردنا تطبيق مصطلح البناء على المجتمع فنقول البناء الاجتماعي، والمراد به مجموع العلاقات الاجتماعية المتباينة التي تتكامل وتتسق من خلال الأدوار الاجتماعية المتباينة، أما الوظيفة فالمقصود بها الدور الذي يسهم به الجزء في الكل. تطوّر الاتجاه البنائي-الوظيفي في الدراسات الأنثروبولوجية إلى أفكار العالمين البريطانيين "برونسل و مالينوفسكي، وراد كليف براون" الذين عاشا في أواخر القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، وقد تأثر أصحاب هذه النظرية بأفكار عالم الاجتماع الفرنسي "إميل دوركايم" الذي ركز اهتمامه على الطريقة التي تعمل بها المجتمعات الإنسانية ووظائف نظمها الاجتماعية، وليس على تاريخ تطوّر هذه المجتمعات والسمات العامة لثقافتها.

كما ظهر في الفترة ذاتها كلود ليفي شتروس الذي درّس روابط القرابة و"الفكر البربري" والأساطير من خلال تقنية منهجية متأثرة في الأساس بالألسنية البنيوية وبالتحليلي

النفسي حيث كان يجتهد لتبيان القطيعة التي يمارسها بالنسبة للتقليد الأثنولوجي واضعا كل مشروعه العلمي تحت عنوان "الأنثروبولوجيا البنيوية". (11)

كما كان "راد كليف-براون" مثل دوركايم ينكر الإرث أو الاتجاه النشئوي، ويطمح لتأسيس أنثروبولوجيا محترفة، مرتكزة على الثقافة العلمية وليس على الأدبية، أي يؤسس لعلم طبيعي ونظري للمجتمع، وفي محاولته لتحقيق هذا الطموح تلاقى راد كليف-براون مع دوركايم في عدم الثقة بالتاريخ التخميني، وفي تحليل وتشكل انتظام المجتمع الذي يعتبر وحدة عضوية. (12)

ويؤكد ليفي شتراوس في مقالاته أن الوقائع الاجتماعية التي يدرسها تتجلى في مجتمعات يشكل كل واحد منها كيانا كليا عينيا، ومتصلا بغيره، حيث لا يغفل أن المجتمعات القائمة حاليا هي في الحقيقة حصيلة لتحولات كبرى طرأت على الجنس البشري في أوقات معينة من تاريخه، وفي نقاط معينة من الأرض، وأنّ هناك سلسلة لا انقطاع لها من الأحداث الفعلية تصل الوقائع بما يمكن ملاحظته. (13)

ويعبر الاتجاه البنائي-الوظيفي في جملته عن منهج دراسي تم التوصل إليه من خلال المقابلة والموازنة بين الجماعات الإنسانية (المجتمعات)، والكائنات البشرية (الأفراد)، ولم يعد استخدامه مقصورا على الأنثروبولوجيين، وإنما تناوله علماء الاجتماع بالفحص والتطبيق كما ارتبط أيضا بالعلوم الطبيعية.

ويظهر الاهتمام بالبنية-structure كترابط منظم وخفي للعناصر الثقافية يساعد في تفسير العلاقات الاجتماعية، يوازيه في الجانب الآخر الوظيفة، والتي شرحها مالينوفسكي على أنها تلبية حاجة من الحاجات، ويتحدد على ضوء ذلك التحليل الوظيفي الذي يسمح

(11)- فيليب لا بورت تولرا، جان بيير فارنييه: اثولوجيا، انثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 39.

(12)- فيليب لا بورت تولرا، المرجع السابق، ص40.

(13)- كلود ليفي شتراوس: مقالات في الاناسة، ترجمة: حسن قببسي، (د.ط)، دار التنوير للطباعة والنشر، (د.م.ن)، 2008، ص77.

بتحديد العلاقة بين العمل الثقافي والحاجة عند الإنسان، سواء كانت هذه الحاجة أولية أو فرعية، فالثقافة كيان كلي وظيفي متكامل، يماثل الكائن الحي، بحيث لا يمكن فهم دور ووظيفة أي عضو فيه، إلا من خلال معرفة علاقته بأعضاء الجسم الأخرى، وأن دراسة هذه الوظيفة تمكن الباحث الأنثولوجي من اكتشاف ماهية كل عنصر وضرورته في هذا الكيان المتكامل.⁽¹⁴⁾

ووفق تأثير مفهوم الوظيفة والدور والبناء الاجتماعي وفق شروحات وتفسيرات إميل دوركايم، دعا "مالينوفسكي" إلى دراسة وظيفة كل عنصر ثقافي عن طريق إعادة تكوين تاريخ نشأته أو انتشاره، وفي إطار علاقته مع العناصر الأخرى، وهذا يقتضي دراسة الثقافات الإنسانية كل على حدى، وكما هي في وضعها الراهن، وليس كما كانت أو كيف تغيرت.

أما براون فقد اعتمد في دراسة المجتمع، وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيراً اجتماعياً بنائياً ووظيفياً على فكرة الوظيفة التي نادى بها إميل دوركايم، والتي تقوم على دراسة المجتمعات الإنسانية من خلال المطابقة أو المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية كما هي الحال في المشابهة بين البناء الجسماني المتكامل عند الإنسان والبناء الاجتماعي المتكامل في المجتمعات الإنسانية.⁽¹⁵⁾

واستناداً إلى ذلك يصبح الاعتراف بالتنوع الثقافي بين المجتمعات إحدى الخطوات الهامة في تطور علم الأنثروبولوجيا، وقد وجد هذا الاتجاه قبولا واسعا لدى المهتمين بدراسة الثقافات الإنسانية في النصف الأول من القرن العشرين، ولاسيما بين الأنثروبولوجيين الأوروبيين الذين انتشروا في المستعمرات لإجراء دراسات ميدانية، وجمع المواد الأولية

(14)- مبروك بوطقطوقة: دراسة الأنثروبولوجيا واتجاهاتها المعاصرة، موقع انثروبوس anthropos.com تاريخ الاطلاع 15 جانفي 2019.

(15)- المرجع السابق، موقع anthropos.com.

اللازمة لوصف الثقافات في هذه المجتمعات، وتحليلها في إطارها الواقعي، وكما هي في وضعها الراهن.

المراجع

- (1)- فرديريك بارت وآخرون: الأنثروبولوجيا -حقل علمي واحد وأربع مدارس، ترجمة أحمد أبو بكر باقر، ط1، المركز الثقافي العربي للأبحاث، 2017.
- (2)- إبراهيم محمد عياش: التطور من المنظور الأنثروبولوجي، موقع aranthropos.com، تاريخ الاطلاع 18 نوفمبر 2018.
- (3)- جيمس جورج فريزر: الغصن الذهبي، ترجمة: محمد زياد كبة، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011.
- (4)- فيليب لابورت تولرا، جان بيير فارنييه: اثنولوجيا، انثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دس.
- (5)- كلود ليفي شتراوس: مقالات في الاناسة، ترجمة: حسن قبيسي، (د.ط)، دار التنوير للطباعة والنشر، (دم،ن)، 2008.
- (6)- مبروك بوطقطوقة: دراسة الانثروبولوجيا واتجاهاتها المعاصرة، موقع انثروبوس anthropos.com تاريخ الاطلاع 15 جانفي 2019
- (7)-حسين فهميم: فصول في تاريخ علم الإنسان: قصة الأنثروبولوجيا مطابع الرسالة، الكويت 1986 .

(8) - عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان (الأنثروبولوجيا)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

2004 .

(9) - موقع anthropos.com-